مولانا محمـــد علي

رئيس الجمعية الأحمدية لنشر الإسلام — لاهور — الباكستان

للاستاذ علي محمد سرطاوي

تمهيد:

قدمنا لقراء الرسالة مولانا محمد علي في مقال ترجمناه له عن مجلة (ليت) الإسلامية التي تشرف عليها الجمعية الأحمدية في لاهور، تقديماً مختصراً، ووعدنا بكتابة مقال مفصل عن حياته المجيدة المباركة ...

أما وقد بر بوعده صديقي الباكستاني السيد حسين تصدق القادري، فأمدني بما وصل إليه من لاهور عن مولانا محمد علي، فإنه ليشرفني أن أقدم على صفحات مجلة الرسالة الخالدة، أعظم المعاصرين خدمة للإسلام، وأقوى مبشر على الاضطلاع بجلائل الأمور

والذين تقع في أيديهم ترجمة مولانا محمد علي لمعاني القرآن إلى الإنجليزية، وهي تزيد على ألف وثلثمائة صفحة من القطع الكبير قلما خطر لهم أن هذا العمل قد استغرق سنوات ثمانيا كان يشتغل في كل يوم منها ساعات تزيد في عددها على نصف مجموع ساعات الليل والنهار، وأنه استغرق في ترجمة معاني القرآن إلى الأردية سنوات سبعا طويلة أخرى، وكان حفظه الله إذا ما أجهده العمل جالسا، راح يعمل واقفا وراء منضدة مرتفعة عملت خصيصا لهذه الغاية

إننا ندعو إلى إقامة حفلة تكريمية رائعة لمولانا محمد علي لمناسبة مرور نصف قرن على تطوعه مجاهدا بقلمه تحت راية الإسلام، ونقترح أن تقام في أرض عربية وأن يدعى عظيم المسلمين إلى ذلك الحفل البهيج، من لاهور تقديرا لجهاده وإعجابا ببطولته، وأن يطاق اسمه الكريم على كرسي إحدى الجامعات في البلاد العربية للدراسات الإسلامية

قال النووي: لكونهم لا يعانون صناعة أهل الحديث فيقع الخطأ في رواياتهم ولا يعرفون، ويروون الكذب ولا يعلمون أنه كذب

وروى مسلم عن أبي الزناد: أدركت بالمدينة مئة كلهم مأمون، ما يؤخذ عنهم الحديث. وقال إسماعيل بن إدريس سمعت خالي مالكا يقول: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم! لقد أدركت سبعين ممن يقول، قال رسول الله عند هذه الأساطين فما أخذت عنهم شيئا لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن

وقال الحافظ ابن حجر: وقد اغتر قوم من الجهلة فوضعوا أحاديث الترغيب والترهيب وقالوا نحن لم نكذب عليه بل فعلنا ذلك لتأييد شريعته! وبادروا أن تقوله (ص) مالم يقل يقتضي الكذب على الله تعالى لأنه إثبات حكم من الأحكام الشرعية سواء كان في الإيجاب أو الندب، وكذا مقابلهما وهو الحرام المكروه، ولا يعتد بمن خالف ذلك من الكرامية حيث جوزوا وضع الحديث في الترغيب والترهيب في تليت ما ورد في الكتاب والسنة، واحتجوا بأنه (كذب له لا عليه) وهو جهل باللغة العربية (٧)

وقال عبدالله النهاوندي، قلت لغلام خليل من أين لك هذه الأحاديث التي تحدث بها في الرقائق؟ فقال وضعناها لنرقق بها قلوب العامة. وقد قال ابن الجوزي عن غلام خليل هذا إنه كان يتزهد ويهجر شهوات الدنيا ويقوت الباقلاء صرفا وغلقت أسواق بغداد يوم موته. وكان أحمد بن محمد الفقيه المروزي من صلب أهل زمانه في السنة، وأكثرهم مدافعة عنها، ويحقر كل من خالفها، وكان مع ذلك يضع الحديث ويقلبه

والأمثلة كثيرة جدا

وقد قال العلائي: أشد الأصناف ضررا أهل الزهد كما قال ابن الصلاح كذا المتفقهة. وأما باقي الأصناف كالزنادقة فالأمر فيهم سهل لأن كون تلك الأحاديث كذبا لا يخفى إلا على الأغبياء

المنصورة — للكلام صلة — محمود أبو ريه

(٧) ص ١٦١ ج ١ فتح الباري

ومولانا محمد على التقى الورع الذى ما انقطع عن اداء صلواته الخمس منذ كان صبيا فى المدرسة ، وعن صلاة التهجد من الساعة الثانية حتى مطلع الفجر منذ كان فى الرابعة والعشرين حتى اليوم ، وعن العمل المتواصل ليل نهار دون نصب فى نشر مبادئ الإسلام ، مثل من أمثلة القدرة الإلهية حين تشاء أن يتم عن طريق البشر ما ليس فى استطاعتهم من المعجزات

ويشاء الله أن يرى مولانا محمد على الحلم الرائع فى سيطرة الإسلام على المبادئ التى يشقى البشر فى ظلالها فى أوروبا وأمريكا. وسيتم على يد مبادئ الإسلام تحرير اللايين العشرة من العبيد المعذبين فى أمريكا الذين لم يستطع ابراهيم لنكولن اليهودى ، تحريرهم فى حركته التى لم ترم إلا لبسط ظل اليهود على المسيحيين هناك ؛ وسيرى تحرير المعذبين من المنبوذين فى الهند ، سوف يرى المبادئ الفاسدة ، والديانات الوثنية فى طقوسها ، والمادية المجرمة التى تطحن كالرحى روحانية النفوس ، تسقط فاقدة الحياة على أقدام المبادئ المثالية الخالدة فى الدين الإسلامى الحنيف

ولعمر الحق أن لجوء ألمانيا النربية فى حل المعضلة التى خلقتها الحربان العالميتان المتتاليتان فيهامن كثرة النساء وقلة الرجال ، إلى السماح بالزواج بأكثر من واحدة زواجا شرعيا ، على الطريقة التى حل بها الإسلام المشكلة نفسها فى صدر الجهاد ، لنصر كبير لمبادئ الدين الحنيف الخالد

لقد آن الأوان أن يهب المسلمون فى بقاعهم المختلفة ، يعرضون فى سوق المبادئ ، باللغات البشرية جميعها ، ما عندهم من مثل رائعة ، ومبادئ سامية ، وإنسانية صحيحة ، وديمقراطية فطرية ، ومساواة تامة ، واشتراكية عادلة ، على العالم المنهوك الذى يلفظ أنفاسه فى ضجيج الآلات وانفجار القنابل الذرية

ولقد آن للأزهر أن يستيقظ من سبات ألف سنة ، وأن يشمر عن ساعد الجد ويتقدم إلى معركة الجهاد الصحيح ، ويدخل فى مناهجه تدريس عشر لغات على الأقل من لغات البشر المشهورة تدريسا متقنا ، بحيث يكون فى مقدور خريجى قسم الدعاية الكتابة والخطابة والتحدث بسهولة عظيمة مع أصحاب هذه اللغات متى جاء دورهم للجهاد

إن البشرية مشرفة على الفناء ، والإنسان الذى يشاهد عريقا ولا يمد له يد المساعدة ، وهو يستطيعها ، إنما هو إنسان غير كريم ، والنبى العربى لم يخلق إلا ليتمم مكارم الأخلاق ، فأدوا هذه الرسالة الأخلاقية الإنسانية أيها المسلمون

وإذا قدر للصفحات التالية التى تفضلت الرسالة الغراء ، بنشرها ، عن حياة مولانا محمد على ، أن تظهر للذين يقاومون المنكر بأضعف الإيمان ، مايصنع الإيمان الصحيح من المعجزات عن طريق العمل الخالص لوجهه تعالى ، فقد وفقت إلى بعض ما ذهبت إليه فى نشرها على المؤمنين . ومن يدرى ؟ فلعل ما فيها من حقائق تدفع العرب وهم مادة الدين إلى تأسيس الجمعيات التى تنشر بمبادئ الدين فى الأقطار البعيدة ، أسوة بالجمعية الأحمدية فى لاهور

وأتوجه ، وأنا فى نهاية هذا التمهيد إلى حياة مولانا محمد على ، بالدعاء إلى الله أن يمد الله فى عمره المبارك المجيد ، وأن يجزيه خير الجزاء على ما قدم من خير الاسلام ، وأن يحفظ الله الدولة الإسلامية الجبارة الفتية الباكستانية ، وأن يمكن لها فى الحياة ويعزها بالنصر ، ويكلأها بعنايته . كما أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ محمد طفيل كاتب هذا المقال الرائع عن مولانا محمد على ، الأستاذ العلامة الباكستانى السكرتير المساعد للجمعية الأحمدية فى لاهور الذى نشره فى مجلة (ليت) عدد (أيار ٢٤ عام ١٩٤٩)

لا مشاحة فى أن الحركة الأحمدية فى التاريخ مدينة إلى مولانا محمد على فى الاتجاه الذى رسمه لها فسارت نحوه فى خطوات وئيدة راسخة . ومن المحقق أنها كانت تكون حركة تختلف عما هى عليه الآن ، لو لم يمكن فجرها الذى أشرق على الظلام الذى اكتنفها فى الوجود ، إذ ورث عن مؤسس القاديانية ميرزا غلام أحمد علمه الرائع العظيم فى سيطرة الإسلام على جميع بقاع أوربا وأمريكا

ومن المحتمل أن يكون قد ولد ، ذلك الغلام الذى قدر له أن يترجم معانى الكتاب المجيد الخالد إلى الإنجليزية فى قرية مرار الصغيرة التابعة لحكومة كابور تالا فى الهند . ويتصل نسبه بأسرة عريقة فى حسبها ونسبها ، فهو الابن الخامس لحافظ فاتح الدين

زعيم القرية المذكورة

وحينما بلغ الخامسة من عمره ، أرسله أبوه مع أخيه مولانا عزيز بوخاش إلى المدرسة القريبة فى قرية دباليور المجاورة ، وكان أخوه أكبر منه بأربع سنين أو خمس وبعد مرور سنوات ثلاث عليهما فى هذه المدرسة ، أرسلا إلى المدرسة العليا فى كاربو نالا وبقيا فيها حتى أتما الدراسة الثانوية عام ١٨٩٠

وامتازت حياته فى المدرسة بالذكاء والجد . وحينما كان يرجع إلى مسقط رأسه فى مرار اقضاء عطلة الصيف كل سنة ، كان يحرص على مشاركة القرويين فى ألعابهم ؛ ولاسيما فى اللعبة التى كان يحب ممارستها كثيرا؛ ألا وهى لعبة « الكابادى » . وكان إذا عاد إلى المدرسة يلعب « الكركيت » وبعض الألعاب الأخرى

وقد امتاز فى هذا الوقت من عمره بالميل الشديد إلى الصدق والاستقامة فى العمل والقول ، والسير فى ركاب الفضيلة والخلق القويم

ولم يتعلم تجويد القرآن وتلاوته قبل الذهاب إلى المدرسة ، ولكنه انصرف إلى إتقان ذلك من تلقاء نفسه ، فعكف على القراءة وصبر على احتمال الصعوبات حتى أصبح يجيد التلاوة والتجويد

ولما أتم دراسته الثانوية ، كانت رغبة أبيه تتركز فى أن يتمم دراسته الجامعية على الرغم من سوء حالته المادية ، ولكنه استعان على كل ذلك بالصبر والجلد والعزيمة وأرسله إلى الجامعة فى لاهور

وقضى هنالك خمس سنوات فى الدرس المتواصل والاجتهاد فنال درجة بكالوريوس فى العلوم عام ١٨٩٤ ودرجة أستاذ فى العلوم عام ١٨٩٥

وامتاز فى دراسته الجامعية ، كما امتاز فى دراسته الثانوية ، بالذكاء والنبوغ ، وكان موضع إعجاب الجامعة بأسرها . وقد اختار اللغة العربية وتعمق فى دراستها الجامعية ، دون أن تكون من مواضيع اختصاصه ، إذ كان الأول فى الرياضيات فى جامعة البنجاب وحينما طلب مرة شهادة من أحد أساتذته كتب له فيها :

(أنه أحسن طالب فى الرياضيات فى جامعتنا)

وبعد حصوله على شهادة البكالوريوس فى العلوم ، أخذ يستعد للحصول على شهادة الأستاذية فى العلوم ، فاختار اللغة الإنجليزية وتخصص فيها وعكف على دراسة آدابها فبلغ فى ذلك شأوا بعيدا ، وكان من بين الطلاب الخمسة الذين حصلوا على هذه الشهادة من جامعة البنجاب من مجموع ثلاثة وعشرين طالبا تقدموا للحصول عليها

والغريب فى حياته الجامعية ، أنه لم يشترك فى أى نشاط أدبى مهما كان نوعه ، ولم يكتب فى تلك الجامعة أى موضوع للنشر ، ولم يرتق منصة الخطابة للتحدث عن أى موضوع ، وأكثر من ذلك لم تبدر منه أية بادرة تدل على تلك الثروة الأدبية الرائعة المخزونة فى ذكائه النادر ، والتى قدر لها فى مستقبل حياته أن تصنع المعجزات فى خدمة الدين الحنيف . إنما كان منصرفا إلى الألعاب الرياضية فى أوقات فراغه فى الجامعة ولا سيما لعبتى الكركيت وكرة القدم . وحتى هذا الهدف وهو فى الخامسة والسبعين من عمره السعيد المجيد المبارك ، يخرج فى الصباح مبكرا للسير مسافات لا يستطيعها من كان فى مثل سنه ، وإلى هذا الميل إلى الرياضة ، يعزى السبب الأول فى تمتعه بالصحة الجيدة فى عمر من هذا النوع

وبعد اجتيازه امتحان البكالوريوس فى العلوم اختارته الكلية الإسلامية فى لاهور أستاذا للرياضيات فيها ، وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ، وهو لا يزال مرتبطا بجامعة البنجاب فى استعداده على فحص الأستاذية فى العلوم . وحينما حصل على الشهادة الأخيرة ، التحق بكلية الحقوق فى الجامعة نفسها وكان الثانى والأول والثالث فى ترتيبه فى امتحانات السنوات الثلاث فى القانون فى تلك الجامعة ، وبذلك حصل على شهادة الحقوق بامتياز

وفى عام ١٨٩٧ ترك التدريس فى الكلية الإسلامية وانضم إلى مدرسة اللغات الشرقية فى لاهور ورقى أستاذا فيها حتى عام ١٩٠٠ وحين ترك عمله فى هذه المدرسة ليتمرن على المحاماة فى جورداسبور اتجه اتجاها جديدا لم يدر له على خاطر أو يمر له على بال . ذلك أنه أمضى فى تمرينه فى تلك المدينة ثلاثة أشهر ، ولكنه ترك ذلك

العمل استجابة لرغبة ميرزا غلام أحمد القادياني مؤسس الحركة الأحمدية (١) في التاريخ عام ١٨٩٠ ، ليرأس تحرير مجلة (ريفيو أف ريليجن) التي أزمع تأسيسها لحمل رسالة الإسلام إلى أوربا وأمريكا

وترجع صلة مولانا محمد علي بمؤسس الأحمدية إلى عام ١٨٩٢ حينما زار حضرة ميرزا غلام أحمد مدينة لاهور ، فذهب الشقيقان لزيارته ، الكثرة ما كان يصل إلى مسامعهما في قريتهما من أخبار صلاحه وتقواه ، تلك القرية التي لم تكن تبعد عن (قاديان) مسقط رأس المجدد غير عشرين ميلا . وقد سمعا من حديثه أن الوقت قد حان لسيطرة الإسلام على بقاع الأرض بأسرها ، متأثرا بدعوته تأثرا عميقا

وفتحت هذه الحادثة صفحة جديدة في حياة مولانا محمد علي ولو لم يقدر له التاريخ الاتصال بشخصية مؤسس الحركة الأحمدية الجبارة والتأثر بها ، لما كان أعظم شخصية حية الآن في عمق الاطلاع على الدين الإسلامي

وبعد انضمامه إلى الحركة الأحمدية ، بقي ثلاث سنوات في لاهور ، كان يزور فيها قاديان وينقل إلى اللغة الإنجليزية النشرات والكتب التي كانت تصدر عن ميرزا غلام أحمد

وكان الوصول إلى قاديان في تلك الأيام عسيرا جدا ؛ لأنها كانت تبعد اثني عشر ميلا عن باتالا ، أقرب محطة لسكة الحديد ، ولأن قطع هذه الأميال صعب جدا لوعورة الطريق ، ولكن مولانا محمد علي ، كان على الرغم من ذلك ، يذهب أيام السبت من كل أسبوع في صحبة بعض الأصدقاء سيرا على قدميه ، ويعود صباح الأحد لمواصلة أعماله في الكلية

وحينما أراد العمل في الخامسة ، التمس النصح والإرشاد من المجدد ، فأشار عليه أن يتريث قليلا في الأمر ، لأنه يفكر في إصدار مجلة تحمل رسالة الإسلام إلى أوروبا وأمريكا ، وأنه يرغب في أن يتولى تحرير المجلة والإشراف عليها ، فاستجاب للرغبة الكريمة ، وأقلع عن فكرة الاشتغال بالقانون ، وعكف على عمله الجديد بكل ما أوتي من عزيمة ، كان يغذيها الإيمان العميق بالرسالة السامية التي وقف حياته عليها ، وأخذ الذكاء الجبار الحبيس ، يتحرك في النفس العظيمة المؤمنة ، وراحت العبقرية الفذة تنطلق إلى آفاق العمل بأجنحة من نور ، ومضت المقالات المركزة تتحرك إلى ميادين المعارك في أوروبا وأمريكا ، تحمل في طياتها ، بلغة إنجليزية أنيقة ، بطل من وراء كلماتها خيال شرقي رائع جميل ، لإقناع العالم عما في الإسلام من جمال وروعة وحلول عملية لأعقد مشاكل الحياة ، ولقد مرت عليه خمسون سنة وهو لا يكل ولا يمل في هذا العمل الجميد الذي كان توفيق الله حليفه فيه

البقية في العدد القادم

علي محمد سرطاوي

(١) سنقدم لقراء الرسالة بحثاً مفصلا عن الحركة الأحمدية في التاريخ ومؤسسها متى تم إعداده

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى والطبعة الأولى للرحلات الثانية من كتاب

رحلات

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

سفير مصر في الباكستان

ثمن كل مجلد ثلاثون قرشا عدا أجرة البريد

والمجلدان يطلبان من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة